الاقتصاد الفضي من وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي

هيام سامي الزعبي

استاذ مساعد في الاقتصاد والمصارف الإسلامية

الاقتصاد الفضي مصطلح يشير إلى الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالفئات العمرية الكبيرة من السكان، خصوصًا كبار السن الذين يشكلون نسبة متزايدة في التركيبة السكانية العالمية، ويهتم بتلبية احتياجات كبار السن من خدمات صحية، تأمينات، إسكان، واستثمارات مالية.

إن النظرة التقليدية للاقتصاد عن كبار السن هي أن زيادتهم تؤثر على الإنتاجية الاقتصادية، ويشكلون ضغطًا على النظام الصحي، وعلى الخدمات العامة، والميزانيات الحكومية، وأنظمة المعاشات والتقاعد.

لكن بالنظر إلى قطاعات الترفيه نجدها موجَّهة بشكل كبير إلى قطاع الشباب دون كبار السن، ومع ذلك فإن العديد من الدول في الوقت الحاضر بدأت بالاتجاه إلى قطاع الترفيه لكبار السن، وايجاد فرص استثمارية للقطاع الخاص والتسويق له، أهمها مواسم السفر لدى كبار السن وتميزها عن بقية الأعمار بسبب عدم ارتباطها بمواسم الدراسة أو الأعياد أو الأعمال الرسمية، كما أن طبيعة الترفيه لدى كبار السن تتيح فرص استثمارية لكنها غير مستغلة، ويعود ذلك إلى سيطرة الفكر التقليدي على الاستثمار، وهذا ما له تأثير على عدم تضمين كبار السن في المنظومة الاقتصادية.

فلابد من تغيير النظرة إلى الاقتصاد الفضي فهو يحمل فرص استثمارية، بالرغم أن معظمها غير مستغل حتى الآن، ذلك أن الاستثمارات المرتبطة بالاقتصاد الفضي دائماً ما تركز على ما يحتاج إليه كبار السن، لا ما يريدونه، فالكثير من الفعاليات الترفيهية والثقافية والفكرية يمكن تنفيذها عن بُعد.

المفهوم والأهمية

يبرز الاقتصاد الفضي نتيجة لزيادة العمر المتوقع وانخفاض معدلات الولادة في العديد من الدول، وهذه التحولات الديموغرافية تتطلب نماذج اقتصادية جديدة تدعم رفاه كبار السن، وتنطلق دراسة هذا النوع من الاقتصاد من منظور الاقتصاد الإسلامي من عدة منطلقات تتعلق بالعدالة، والرعاية الاجتماعية، وتوزيع الثروة بما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية، حيث يتمحور التركيز على:

- تعزيز التكافل الاجتماعي: الاقتصاد الإسلامي يُبرز أهمية التكافل الأسري والمجتمعي، حيث تُعتبر رعاية كبار السن واجبًا دينيًا وأخلاقيًا.
- تحقيق العدالة الاقتصادية: تقديم الدعم المادي والخدمات لكبار السن من خلال أدوات مثل الزكاة والوقف.
- تنشيط الاقتصاد عبر أنشطة مباحة: تشجيع الصناعات المخصصة لرعاية كبار السن بما يتفق مع الضوابط الشرعية.

أسس الاقتصاد الفضي من وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي

الرعاية المالية والاجتماعية

الإسلام يشجع على توفير الدعم المالي لكبار السن من خلال الزكاة، التي تُخصص للفئات المحتاجة، بما في ذلك الفقراء وكبار السن الذين يعجزون عن العمل، كما أن مؤسسات الوقف يمكن أن توفر موارد مستدامة لدعم الخدمات الصحية والإسكان لكبار السن.

الاستثمار المباح

يتمحور الاقتصاد الإسلامي حول استثمار الأموال في أنشطة لا تخالف الشريعة الاسلامية، يمكن الاستثمار في قطاع الصحة، المستشفيات، والمرافق المصممة لخدمة كبار السن.

دور الأسرة والمجتمع

في الاقتصاد الإسلامي، الأسرة هي حجر الأساس في رعاية كبار السن، حيث يُعدّ الاهتمام بالوالدين واجبًا شرعيًا، مما يخفف العبء على الدولة مقارنة بالنماذج الاقتصادية التي تعتمد كليًا على برامج الرعاية الحكومية.

تحديات الاقتصاد الفضي من منظور إسلامي

١. التحول الثقافي: مع انتشار القيم المادية، انخفض الاهتمام برعاية كبار السن وتنصل الأفراد عن واجبهم، وهذا يتعارض مع القيم والمبادئ الإسلامية.

٢. التمويل المستدام: تحتاج المجتمعات المسلمة إلى تطوير وابتكار حلول مالية إسلامية تلبي احتياجات الاقتصاد الفضي، كصناديق استثمار قائمة على أسس الشريعة الإسلامية.

٣. التوازن بين الدولة والأسرة: يجب إيجاد توازن بين دور الأسرة في رعاية كبار السن ودور الدولة في توفير البنية التحتية والخدمات.

أدوات الاقتصاد الإسلامي في دعم الاقتصاد الفضي

- الزكاة والصدقات: توفر مصدراً مستداماً لدعم الاحتياجات الأساسية لكبار السن.
- الوقف: يمكن تخصيص أوقاف لتطوير مراكز صحية ومرافق سكنية لكبار السن.
- الصكوك الإسلامية: إصدار صكوك لتمويل مشاريع خاصة بالاقتصاد الفضي بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية.
- التأمين التكافلي: تطوير أنظمة تأمين صحي واجتماعي لكبار السن تعتمد على المبادئ التكافلية.

خاتمة

يشكل الاقتصاد الفضي فرصة لتحفيز النمو الاقتصادي مع الالتزام بالقيم الإسلامية التي تركز على التكافل والرعاية الاجتماعية، من خلال أدوات الاقتصاد الإسلامي، وخاصةً أن روح الاقتصاد الفضي تتوافق ورؤية الشريعة الإسلامية، والمبادئ الإسلامية السامية تتعلق برعاية فئات المجتمع وخاصةً كبار السن مما يمكن من تحقيق نموذج اقتصادي إنساني ومستدام يضمن لكبار السن حياة كريمة، كما أن تطوير هذا القطاع يعزز من دور المجتمعات المسلمة في مواجهة التحديات الديموغرافية بشكل عادل وشامل.

ويتوجب على الاقتصاديين الإسلاميين تسليط الضوء على الرؤية الإسلامية الاقتصادية للاقتصاد الفضي، لمواكبة التطور الاقتصادي العالمي أولا، وضمان أن هذه المبادرات الاقتصادية تكون منبثقة عن الفكر الاقتصادي الإسلامي ومبادئه وتلبي الاحتياجات وتحقق المقاصد الإنسانية والبشرية وفق المنظومة الإسلامية.

والنظر إليه من كونه اقتصاد غير ربحي في توفير الاحتياجات والسلع والخدمات في رعاية كبار السن، وتوظيفهم التوظيف الأمثل في المجتمع؛ وهذا ما يتميز به الفكر الاقتصادي الإسلامي أنه اقتصاد شمولي يجمع بين الاستثمار من جهة، وما يتبعه من عمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك وغيرها، وبين الدور الاجتماعي الذي يمثل المسؤولية الاجتماعية لجميع أفراده، وتشجيعه نحو الابتكار في الوسائل والآليات

التي تحقق الموازنة والشمول والاتجاه نحو الاقتصاد الحقيقي الذي يراعي جميع أطراف العملية الاقتصادية من المنتجين والمستهلكين والمجتمع كله، والنتيجة تطوير وتجديد للاقتصاد الفضي وإعادة مفهومه.